الى تحقيق مكسب ما، وان الوقت قد حان للتفاوض. كما اكد اصحاب هذا الخط انهم لم يسلّموا بترك الهدف الاستراتيجي، ولكنهم ارادوا، فقط، تأجيله.

وبالطبع، فقد غلب اصحاب الخط الثاني. الاّ ان النصوص التي جسّدتها القرارات كانت، في صياغتها، «حمّالة اوجه»، فأفسحت في المجال للتحرك السياسي من دون التخلّي عن الهدف الاستراتيجي؛ وكذلك افسحت في المجال، في التحرك السياسي، لنوع من المناورة في التفاوض، ولكن مع التأكيد على ضرورة اتقان عملية التفاوض(٢١).

ولم تقتصر استفادة قيادة المنظمة من اندلاع الانتفاضة على هذا المجال فقط، بل أدّت الى تدعيم زعامة عرفات، وتهميش غالبية التنظيمات المعارضة. وربما استند هذا التطوّر، في جانب هامّ منه، الى المصالحة الوطنية التي تمّت بين «فتح» والجبهتين، الشعبية والديمقراطية، في نيسان (ابريل) ١٩٨٧، الاّ ان الانتفاضة عزّزت، من دون شك، مكانة عرفات أكثر من أي وقت مضى، ممّا تسبب بفقدان التنظيمات الصغرى لقوة النقض التي كانت تتمتع بها ضمن عملية صنع القرار داخل المنظمة. امّا المعارضة المعادية التي مقرّها دمشق، فقد افصحت عن مدى هامشيتها عبر مقاطعتها الكاملة للحوار داخل مؤسسات المنظمة، ممّا تسبب في شق صفوفها (مع عودة جبهة التحرير ـ جناح طلعت يعقوب الى المنظمة) وخروج جبهة النضال الشعبي من «جبهة الانقاذ الوطني» التابعة لسوريا(٢٢).

وبعكس المرحلة السابقة، وجدت سوريا نفسها، هي الاخرى، في موقع تراجعي، على أكثر من صعيد. فقد انحسر نفوذها، وتقلّص دورها، بعد ان انتزعت منظمة التحرير الفلسطينية المبادرة من «اليد السورية»، ولم يعد لسياسة دمشق السلبية، ومواقفها الرافضة، الموقع المؤثر. فمع التحوّل الجذري في طبيعة النزاع مع اسرائيل، بعد خروج قوات المنظمة من بيروت، في صيف العام ١٩٨٢، وبعد اهتزاز ايديولوجية «التوازن الاستراتيجي» مع اسرائيل، لم يعد لسوريا سوى التراجع الى خط دفاعها الاخير في علاقتها مع المنظمة، إنْ في ما يتعلق بـ «شحن» قدرة حالة الرفض والتمرّد لدى بعض التنظيمات الفلسطينية، وابراز كل ما في شأنه ان يعتبر نقيضاً لما اتبعه عرفات، خصوصاً بعد التحرك المضاد لنهج قيادة المنظمة الذي تبلور في طرابلس، خريف العام ١٩٨٣، أو في استمرار مخيمات لبنان «رهينة»، وكأنها الفصل الاخير في مسلسل محاور النزاع مع المنظمة(٢٣).

على ان الاحداث الراهنة لم تعد ترتبط بهذه السياسة التي اتبعتها دمشق في الماضي. فالثابت، اليوم، ان الجانبين، السوري والفلسطيني، يتجهان، بصورة وئيدة، الى مرحلة من «التعايش السلمي». فلا مصالحة قريبة، ولا صدام قريب؛ لأن مصالحهما لم تعد تتقاطع، بالضرورة، في لبنان، بدليل ان الحرب على المخيمات انتهت، فجأة، بعدما اتضح ان المخيمات لم تعد ورقة مناسبة في يد دمشق للضغط على قيادة المنظمة، بل، على العكس من ذلك، ان استمرارها أدّى الى تقوية عضد القيادة الفلسطينية، وسبّب وصمة وحرجاً شديدين لأي فلسطيني يعتبر نفسه حليفاً لدمشق. والثابت، أيضاً، ان الانتفاضة الفلسطينية في الارض المحتلة جاءت لتثبت ان التحكم بالاوضاع على الساحة اللبنانية، لم يعد يشكّل، بالنسبة الى سوريا، وسيلة تلقائية تمكّنها من السيطرة على الورقة الفلسطينية. والواقع، ان الانتفاضة جاءت لتسهم، الى حدّ بعيد، ولو بشكل غير مباشر، في اعادة الموضوع الفلسطيني، برمّته، الى اطاره المحدّد، جغرافياً، بالارض الفلسطينية المحتلة، وسياسياً بمنظمة التحرير الفلسطينية(٢٤).

وهكذا، فمع التغيير الجذري في عناصر النزاع مع اسرائيل، انحسرت أهمية الدور السوري